

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج (حياة الشباب في صدر الإسلام)

الحلقة الثامنة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :-

أيها المستمعون الكرام، معشر الشباب ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأهلاً بكم مع حلقة جديدة من برنامجكم (حياة الشباب في صدر الإسلام) ، نتابع الحديث في هذه الحلقة عن مكانة الشباب في الإيمان ومدى رسوخهم والحرص على تحصينه .

علمنا مما سبق مدى ما وصل إليه شباب صدر الإسلام من قوة الإيمان ورسوخهم فيه ، مما يدل عليه تلك التضحيات التي بذلوها في سبيل هذا الإيمان ، ولم يتوقف بهم الأمر عند هذا الحد بل حرصوا كل الحرص على سلامة هذا الإيمان من المنقصات والمفسدات .

فهذا عبد الله بن بن عمر (رضي الله عنهما) يعبر عن حرصه على إيمانه وبعده عن الفتنة بقوله : من قال حي على الصلاة أحبته، ومن قال حي على الفلاح أحبته، ومن قال حي على قتل أخيك المسلم وأخذ ماله قلت: لا^(١).

وقال ابن عمر أيضاً: إنما كان مثُلنا في هذه الفتنة^(٢) كمثّل قوم كانوا يسيرون على جادة يعرفونها، فبينما هم كذلك إذ غشيتهم سحابة وظلمة. فأخذ بعضهم يميناً وشمالاً فأخطأ الطريق، وأقمنا حيث أدركنا ذلك حتى جلى الله ذلك عنا، فأبصرنا طريقنا الأول

(١) أبونعيم "حلية الأولياء" ٣٠٩/١، وابن سعد الطبقات الكبرى، (٤/١٧١).

(٢) ما حصل بين عبد الله بن الزبير وبني أمية من النزاع على الإمارة (انظر، الذهبي سير أعلام النبلاء، ٣/٣٧٣، ٣٧٢).

فعرفناه وأخذنا فيه، وإنما هؤلاء فتیان قريش يقتتلون على هذا السلطان وعلى هذه الدنيا، ما أبالي أن يكون لي ما يقتل بعضهم بعضاً بنعلي هاتين الجرداوين^(٣).

أيها المستمعون الكرام، معشر الشباب، إن من شباب الإصدار الإسلام من وصل في قوة إيمانه إلى حد لا تضره معه الفتنة كمحمد بن مسلمة -رضي الله عنه- لقول حذيفة -رضي الله عنه-: إني لأعلم رجلاً لا تنقصه الفتنة شيئاً محمد بن مسلمة الأنصاري^(٤). وكان -رضي الله عنه- ممن اعتزل الفتنة، ولا حضر الجمل ولا صفين، بل اتخذ سيفاً من خشب، وتحول إلى الريدة^(٥). واعتزال عبدالله بن عمر ومحمد بن مسلمة -رضي الله عنهما- الفتنة عندما لم يتبين لهما الحق، ولو تبين لهما الحق في ذلك الأمر، وترجح عندهما سلامة الدين في النصر لما تأخرا عنها.

معشر الشباب، إن فتنة الحياة الدنيا من أشد الفتن على الإنسان، ولم يسلم من التعرض لها شباب الصحابة (رضي الله عنهم) كما حصل لكعب بن مالك -رضي الله عنه-، عندما رجع رسول الله ﷺ من تبوك ونهى الصحابة عن كلامه ومن معه، ضاقت عليه نفسه، وضاقت عليه الأرض بما رحبت، فبينما هو على تلك الحال إذ بنبطي من نبط الشام^(٦)، ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة، يقول: من يدل على كعب بن مالك، فلما وجدته دفع إليه كتاباً من ملك غسان فإذا فيه: أما بعد فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضیعة، فالحق بنا نواسك.

حقاً إنه ابتلاء شديد وإغراء في نعيم الدنيا رجل من عامة المسلمين يستدعيه ملك غسان ليواسيه وينعم عليه، وهو فيما هو فيه من شدة الحال ومقاطعة الرسول ﷺ له والصحابة. ولكن كعب بن مالك -رضي الله عنه- لم ينخدع بهذا الإغراء ولم يلتفت إلى زينة الحياة

(٣) أبونعيم، حلية الأولياء، ٣١٠/١ قال المحقق: ما يقتل بعضهم بعضاً: ما يقتل بعضهم بعضاً عليه.

(٤) ابن سعد، الطبقات: ٤٤٤، ٤٤٥/٣، والحاكم بلفظ آخر في المستدرک ٤٣٣/٣١) وصححه ووافقه الذهبي، والذهبي في "سير أعلام النبلاء" ٣٧١/٢. وابن حجر في "الإصابة" ٣٨٥/٣.

(٥) انظر الذهبي في "سير أعلام النبلاء" (٣٦٩/٢)، وابن حجر في الإصابة (٣٨٤/٣) وابن الأثير في أسد الغابة: (٣٣٠/٤، ٣٣١).

(٦) نبطي من نبط الشام: هم فلاحوهم، نسبة إلى استنباط الماء واستخراجه (ابن حجر، فتح الباري ١٢٠/٨).

الدنيا، فأثر الله ورسوله على ما عرض عليه ملك غسان. يقول كعب بن مالك -رضي الله عنه-: هذه أيضاً من البلاء فتيامت بها التنور فسجرتها به ^(٧). والخبر له قصة طويلة في صحيح البخاري .

يقول ابن حجر: دل صنيع كعب هذا على قوة إيمانه ومحبته لله ورسوله، وإلا فمن صار في مثل حاله من الهجر والإعراض، قد يضعف على احتمال ذلك وتحمله والرغبة في الجاه والمال على هجران من هجره، ولا سيما من أَمَنه المَلِك الذي استدعاه إليه، إنه لا يكرهه على فراق دينه، ولكن لما احتمل عنده أنه لا يأمن من الافتتان حسم المادة، وأحرق الكتاب، ومنع الجواب. هذا مع كونه من الشعراء الذين طبعت نفوسهم على الرغبة ولا سيما بعد الاستدعاء، والحث على الوصول إلى المقصود من الجاه والمال، ولا سيما الذي استدعاه قريبه ونسيبه، ومع ذلك [غلب] ^(٨) عليه دينه وقوي عنده يقينه، ورجح ما هو فيه من النكد والتعذيب على ما دعي إليه من الراحة والنعيم، حباً في الله ورسوله ^(٩).

ومع شاب آخر في موقف من مواقف الحرص على الدين وسلامته ، فقد أراد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- مرة أن يمتحن الشاب معاذ بن جبل -رضي الله عنه- بالمال. فأعد له أربعمائة دينار فجعلها في صرة، فقال للغلام اذهب بها إلى معاذ، وتلّ في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع؟ فذهب بها إليه فقال: يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك. فقال -رضي الله عنه-: تعالي يا جارية اذهبي إلى بيت فلان بكذا، اذهبي إلى بيت فلان بكذا، فطلعت امرأة معاذ فقالت: ونحن والله مساكين فأعطنا - ولم يبق في الخرق إلا ديناران - فدحا بهما إليها، ورجع الغلام إلى عمر فأخبره فسر بذلك، وقال: إنهم إخوة بعضهم من بعض ^(١٠). ^(١١).

(٧) انظر القصة كاملة في صحيح البخاري، كتاب المغزي، باب حديث كعب بن مالك (١٧٦/٣-١٨٠) حديث رقم ٤٤١٨، وفي صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب توبة كعب بن مالك وصاحبيه (٢١٢٠/٤-٢١٢٩).

(٨) في الأصل (فغلب)

(٩) فتح الباري ١٢١/٨.

(١٠) يقصد معاذ أو أبا عبيدة وكان قد أرسل إلى أبي عبيدة مثل ذلك.

(١١) أبونعيم، حلية الأولياء (٢٣٧/١). والذهبي في "سير أعلام النبلاء" ٤٥٦/١ وابن سعد في الطبقات (٤١٣/٣) بلفظ آخر.

وهذا عبدالله بن عمر بن الخطاب -رضي الله عنهما- يقول عنه عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- أملك شباب قريش لنفسه عن الدنيا عبدالله بن عمر (١٢).

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، كم هي الفتن التي يتعرض لها شباب العصر الحاضر، أضف إلى ذلك كثرة المغريات وزينة الحياة الدنيا التي متى ركن إليها الشاب وحرص عليها كانت سبباً في نقص إيمانه وضعف يقينه . فهلا تأمل شباب هذا العصر بحال سلفهم من شباب صدر الإسلام في مواجهة تلك الفتن والفرار منها والحرص على سلامة الدين وقوة الإيمان .

فالشباب في هذا العصر مثلاً تيسرت له وسائل المواصلات والاتصالات ، فهو يستطيع أن يصل إلى أماكن عديدة في الدنيا بيسر وسهولة ، كما يمكنه أن يسمع ويرى ما يجري في أنحاء عديدة من الدنيا في اللحظة ذاتها . ولا شك أن ذلك كله يصاحبه من الفتن ما الله به عليهم . وكم تعرض شباب المسلمين في أسفارهم وإقامتهم بين غير المسلمين إلى فتن كثيرة تنقص إيمانهم وتفسد أخلاقهم . وكم سمعوا وشاهدوا حتى وهم في بلادهم من الفتن المصدرة إليهم من أعدائهم ، والتي لا شك لها تأثيرها وأضرارها على شباب المسلمين مع مرور الزمن .

معشر الشباب ، إن الإنسان إذا ملك أمراً ثميناً عنده وذا قيمة كبيرة ، فإنه يحرص عليه أشد الحرص ، ويحصنه أشد التحصين ، ويبدل كل ما يستطيع للحفاظ عليه وعدم فقدانه . ولكن أثنى ما يملكه المسلم هو إيمانه بربه سبحانه وتعالى ، وإذا كان الأمر كذلك فيجب عليه أن يحرص على هذا الإيمان أشد الحرص ، ويحصنه أشد التحصين من كل ما ينقصه أو يفسده . ومن تحصينه أن يتجنب الشاب كل الفتن التي تؤدي إلى نقص الإيمان أو فساده ، كما هي حال شباب صدر الإسلام في حرصهم على ذلك .

(١٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٤/١٤٤، أبونعيم في الحلية، ١/٢٩٤، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣/٢١١، ابن حجر في الإصابة (٢/٣٤٧).

أيها المستمعون الكرام . وفي الختام نسأل المولى جل وعلا أن يلهمنا رشدنا ، وأن يوفقنا
لصلاح ديننا ودنيانا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وإلى أن ألقاكم أستودعكم الله ، والسلام عليكم ورحمة الله
وبركاته.